# محاضرة الأدب الاسلامي

## من كتاب الأمالي في الأدب الاسلامي للدكتورة
## ابتسام مرهون الصفار

## اغراض شعرية قديمة ومتطورة (الهجاء)

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية
كلية التربية القائم / جامعة الأنبار

## ٢ ـ الهجـــاء

الهجاء مثل المديح في تصويره لقيم المجتمع ، فسلب المهجو منها ، وسلخه من الشخصية التي يعتز بها اي فرد في المجتمع يعني ان هذه الصفات هي الروابط والعوامل المشتركة التي اتفق الناس على كونها مفتاح شخصية الرجل الجيد من هنا لابد ان تدخل الفن هذا جملة تغييرات تشمل المعاني والافكار والصور حين انضوى الشعراء تحت راية الاسلام ولعل هذا الغرض اول الاغراض التقليدية التي طرأت عليها التغييرات منذ ان استخدم الشعر وسيلة من وسائل الدفاع عن الدين الاسلامي . فكما تصدى المشركون الى هجاء المسلمين والرسول (ﷺ) امر النبي (ﷺ) شعراءه بالرد عليهم ومن الطبيعي ان يكون هذا الرد فخرا بالدين الجديد وذما وهجاء لجهل الكافرين وكلمة الرسول (ﷺ) (اهجم وروح القدس معك) مشهورة تبين توجيه الهجاء وجهة جديدة .

ولعل قائلا يقول باننا قلنا في حديثنا عن موقف الاسلام من الشعر بأن الرسول (ﷺ) نهى عن الشعر الذي يثلب الاعراض ويهتك الاستار ، فكيف نقول هنا بانه امر شعراءه بهجاء المشركين ... نقول ان لاتعارض بين القولين ، فالمشركون اعلنوا عن لسان شعرائهم حربا شعواء ضد المسلمين والرسول الكريم ، فكان من الطبيعي ان يأمر الرسول (ﷺ) شعراءه بالرد عليهم ولكن ردود هؤلاء الشعراء المسلمين واشعارهم بدت متفاوتة فمنها ماتنقض اقوال المشركين وترد عليهم الشتائم والذم ومنها ماجاء الهجاء فيه بصبغة جديدة حين هجا المسلمون المشركين بالضلالة وقصور التفكير والجهل ومن الهجاء السائر في ركاب جاهلي كثير من قصائد حسان التي هجا بها قريشا متبادلا مع شعرائها النقائض والمهاجاة ، فهو يهجو الوليد بن المغيرة هجاء معتمدا على اسس قبلية ، لان هذا الشخص من قريش معتد بنسبه ، فما كان من حسان الا ان يهجوه بأنه من بطون قريش التي لاقيمة ولاشأن لها ، وان هو الا عبد في قريش التي يفخر بها فيقول :

متى تنسب قريش او تحصـــــــل
فـــالـــك في اروماتهـــا نصـــاب

تفتـــك بنـــو هصيص عن ابيهـــا
لشجـــع حيث يسترق العنبـــاب

وانت ابن المغيرة عبـــــد شـــول
قـد انـدب حبل عـاتقـك الوطـاب

اذا عـــد الاطـــايب من قريش

تـــلاقت دون نسبتكم كـــلاب(٤٠٧)

وفي مقطوعة اخرى يهدد حسان المشركين بالحرب دون الاشارة الى حرب العقيدة والدين ويخوفهم بأخذ الغنائم والاسلاب في معركة قادمة : دون الاشارة الى المسلمين او الدعوة الى الدين الرسول (ﷺ) ويذكر فيها غزوة المصطفى لهم بسبب ذلك وهي المسماة بغزوة ذي قرد :

هـــل سر اولاد اللقيطـــة اننـــا

سلم غـــداة فـــوارس المقـــداد

واللقيطة اسم لام حصن بن حذيفة بن بدر الغزاري ...

كنـــا ثمـــانيـــة وكانـــوا جحفـــلا

لجبـــا فشكـــوا بـــالرمـــاح بـــداد

لـــولا الـــذي لاقت ومس نسـورهـــا

بجنـوب ســـايـــة امس بـــالتقـواد

الى ان يقول :

كـــلا ورب الراقصـــات الى منى

والجـــائبين مخـــارم الاطـــواد(٤٠٨)

حتى نبيـــل الخيـــل في عرصـــاتكم

ونـــؤوب بـــالملكات والاولاد

---

(٤٠٧) ديوان حسان : ٥٩

(٤٠٨) ديوان حسان ١٠٩ الراقصات الابل ، والجائبين القاطعين البلاد والمخارم الطرق في الجبال ، والاطواد الجبال المرتفعة ونبيل الخيل نجعلها تتبول والملكات النساء اللائي املكن اي بالسيدات ، ديوان حسان : ١٥ .

ويهجو حسان حكيم بن حزام بن خويلد بالجبن في الحرب ، ويذكره بأنه هرب يوم بدر والقى سلاحه ، ولعل استمرار حسان في مثل هذه المقطوعات بالهجاء على الطريقة الجاهلية ، مرده الى انه يخاطب اناسا مازالوا تاريخيا في فكر قبل الاسلام أو منتمين الى عصره في قيمهم التي يعتدون بها او في المعايب التي تثيرهم وتغيظهم ، فاذا كان لحسان ان يرد عليهم ويهجوهم فما عليه الا ان يستعمل القيم والاعراف نفسها التي يؤمنون بها ، ويخشون ان يذموا بالتخلي عنها ودليلنا في هذا انه كان كثيرا مايجعل هجاءه قائما على عنصرين عنصر شتم قريش والمشركين بالمعايب التي تغض من شأنهم في عيون القبائل التي لم تسلم بعد ، وعنصر اخر اسلامي يقابل الهجاء الجاهلي وهو مقارنة حالة قريش والمشركين بحال المسلمين المؤمنين الذين يؤزرهم نصرالله والملائكة ويحيطهم النبي (ﷺ) بهدى الدين ونور النبوة وتحدوهم الرغبة في ثواب الله وطلب جنته وبذا يخرج بالهجاء من منظوره الجاهلي الى منظور اسلامي :

لقد لعن الرحمن جمعا يقودهم
دعيّ بني شجع لحرب محمد

مشوم لعين كان قدما مبغضا
يبين فيه اللؤم من كان يهتدى

فدلاهم في الغي حتى تهافتوا
وكان مضلا امره غير مرشد

فانزل ربي للنبي جنوده
وايده بالنصر في كل مشهد

وان ثواب الله كل موحد
جنان من الفردوس فيها يخلد(٤٠٩)

على اننا لانعدم في هجائه قيما اسلامية جديدة واساليب فرضت عليه وعلى غيره من شعراء الدعوة الاسلامية حين هجوا المشركين بالضلالة العمياء والجهل عن حقيقة الدين وتهديد المشركين من ثم بالعذاب في الدنيا والخزي والعقاب في الآخرة ، لان هناك حسابا فثوابا وعقابا

---

(٤٠٩) ديوان حسان : ٢٩٢ .

كما دعت الرسالة الاسلامية ففي يوم احد اصيب الرسول (ﷺ) بسهم ارسله عتبة بن ابي وقاص فاصاب رباعيته وكسرها وجرح شفتيه ، فما كان من حسان الا ان يهجو عتبة ويعده بالخزي في الحياة الدنيا وبالعذاب وعقاب الله يوم القيامة :

اذا اللـــه حيـــا معشرا بفعـــالهم
ونصرهم الرحمن رب المشـــــارق

فـاخـزاك ربي يـاعتيب بن مـالـك
ولقـاك قبـل الموت احـدى الصواعـق

بسطت يمينـــا للنبي برميـــة
فـأدميت فـاهـا قطعت بـالبـوارق

فهـلا خشيت اللـــه والمنزل الـــذي
تصير اليـه بعـد احـدى الصفـائـق

لقـد كان خـزيـا في الحيـاة لقـومـه
وفي البعث بعد الموت احدى العوالق(٤١٠)

ويهجو قريشا بانها في استجابتها لدعوة ابي سفيان في حربه للرسول (ﷺ) انما تتبع الشيطان ، اما المسلمون جميعا فانهم يعبدون الرحمن الذي هو اعظم من ان يشرك به بعبادة وثن من الاوثان التي تعبدها قريش . وبذا يقوم هجاؤه على سبيل الموازنة بين عقيدة الدين وجهل الجاهلية :

طـــاوعـــوا الشيطـــان اذ اخـــزاهم
فـــاستبـــان الخـزي منهم والفشـل

حين صـــاحـوا صيحـــة واحـــدة
مـع ابي سفيـان قـالـوا : اعـل هبـل

فـــاجبنـــاهم جميعـــا كلنـــا
ربنـــا الرحمن اعلى واجـــل(٤١١)

(٤١٠) شعر الدعوة : ٣٣٦ ، ديوان حسان

(٤١١) شعر الدعوة : ٣٣

على ان هذه القيم الاسلامية الجديدة التي دخلت ثم في هجاء الشعراء في عصر الدعوة استمرت في عصر الخلفاء الراشدين ، والعصر الاموي فهذا معاذ بن يزيد بن الصعق يهجو المرتدين بخروجهم على الدين الاسلامي ، ويصفهم بالكذب والطمع لانهم منعوا اداء الزكاة الفرض الذي وضعه الله تعالى المسلمين وتركوا اداء الصلاة فأي شيء بقي لهم من عقيدتهم في الدين الاسلامي :

بني عامر أين اين الفرار
من الله والله لايغلب
منعتم فرائض اموالكم
وترك صلاتكم اعجب
وكذبتم الحق فيا اتى
وان المكذب للاكذب(٤١٢)

ويقول عمارة بن قريط :

ثقلت صلاة المسلمين عليكم
بني عامر والحق جد ثقيل
واتبعتموها بالزكاة وقلتم
الا لاتفروا منها بفتيل
فلا يبعد الله المهين غيركم
سبيلكم في كل شر سبيل(٤١٣)

ونجد استمرار هذه العناصر من الهجاء في عصر الراشدين والعصر الاموي فيتغنى الشعراء بسلب مهجويهم من كل مايرفع شأنهم في نظر الناس او على الاقل من عناصر الشخصية السوية في المجتمع المسلم . فالحطيئة يهجو الوليد بن عقبة والي الكوفة ، ويستغل المبدأ الاسلامي الذي يجب توافره في شخصية ولاة الامر وهو مبدأ التقوى واداء الفروض فيحاول ان يسلب مهجوه منه فيتهمه بانه يشرب الخمر واي شرب ، انه شرب مخالط لاداء الصلاة فهل يحق له مبعد هذا ان يبقى واليا على الكوفة :

---

(٤١٢) الاصابة ٤٧٣/٣ عن شعر الدعوة : ٣٤٤

(٤١٣) المصدر نفسه : ٣٤٥

شهد الحطيئة حين يلقي ربه

ان الوليد احق بالعذر

نادى وقد قضوا صلاتهم

أزيدكم ثملا ومايدري(٤١٤)

واذا كان سلب صفات المهجو الاسلامية يمثل قيم المجتمع ويشبه المديح من هذه الناحية، فان هناك عناصر دخلت الهجاء في غير موضوع القيم والاخلاق الاسلامية ، وهي عناصر دخلت لغة الشاعر واخيلته اقتباسا او تأثرا بصورة قرآنية كريمة ، ونجد هذا واضحا في شعر النقائض ومهاجاة الشعراء في العصر الاموي اذ استمدوا من التشبيهات والاخيلة القرآنية ، ومن قصص الانبياء والامم الواردة في القرآن استمدوا من كل هذا مادة ادخلوها في نقائضهم بغض النظر عن كون اهاجيهم خارجة عن النطاق السياسي او النزاع المذهبي او الديني فالفرزدق يهجو جريرا لانه اراد هجاء بني نمير ويهدده بانه سيلقى العذاب والهجاء ضعفين منه فحاله كحال اهل النار الذين يعذبون بلظاها ، فاذا استغاثوا منها ومن حرها سقوا الصديد :

فانك في هجاء بني نمير

كأهل النار اذ وجدو العذابا

رجوا من حرها ان يستريحوا

وقد كان الصديد لهم شرابا(٤١٥)

ويشبه شؤم جرير على قومه وجره هجاء خصومه لهم بانه يشبه شؤم ناقة ثمود الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى (فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم ، وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ، فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين) . سورة الاعراف : ٧٧-٧٨ يقول الفرزدق :

وكان جرير على قومه

كبكر ثمود لها الانكد

---

(٤١٤) ديوان الحطيئة : ٢٣٣ ، وانظر انساب الاشراف ٢٢/٥ وهناك خلاف بالرواية .

(٤١٥) ديوان الفرزدق ق١٠٢/١ وانظر ايضا ص١٠٨ والنقائض ١٦١/٢ ، ٧٦ .

رغـــا رغـــوة بمنـــايـــاهم

فصـاروا رمـادا مـع الرمـدد(٤١٦)

والاخطل شاعر مسيحي ومع ذلك استفاد من هذه الصورة القرآنية وادخلها في موضوع هجائه فقال :

ولمـــــا رأى الرحمن ان ليس فيهم

رشيـد ولانـاه أخـاه عن الغـدر

امـــال عليهم تغلب ابنـــة وائـل

فكانوا عليهم مثل راغيـة البكر(٤١٧)

ويتخذ شعراء النقائض من قصة موسى وفرعون مادة في هجائهم فالسامري الذي اضل قومه يستفيد من قصته كل من جرير والفرزدق في هجائها ، فالفرزدق يهجو جريرا بانه اضل قومه كما اضل السامري قومه فيقول :

ولقـد ظللت ابـاك تطلب دارمـا

كضـلال ملتمس طريـق وبـار

كالسـامري يقـول ان حركتـه

دعني فليس عليّ غير ازاري(٤١٨)

ويقول جرير ذاكرا الصورة القرآنية نفسها

ولمـا دعـوت العنبري ببلـدة

الى غير مـاء لاقريب ولاأهـل

ظللت ضلال السـامري وقومـه

دعـاهم فظلوا عـاكفين على عجل(٤١٩)

---

(٤١٦) النقائض ٦٩٦/٣ ، ٢٥٥ وانظر شعر الصلتان العبدي في شرح نهج البلاغة ٤٤٧/١ ، اثر القرآن : ١٠٨ .

(٤١٧) شعر الاخطل : ٢٢١ وانظر الكامل ٦/١ اثر القران : ١٠٨ .

(٤١٨) النقائض ٣٣١/١

(٤١٩) المصدر نفسه ٦٦٥/١ .

ويعتمد الفرزدق في احدى اهاجيه على صورة جديدة من الصور الواردة في القصص القرآنية ، حين يشبه مهجوه بابن نوح الذي طغى وتجبر على ابيه واخذه الغرور وظن ان اعتلاءه الجبل يخلصه من الطوفان ، او ان نهايته ستكون مثل نهاية اهل الفيل حين وجه اليهم الله تعالى عذابه فرماهم بحجارة من سجيل :

فلما طغا الجحاد حين طغا به
غنى قال اني مرتق في السلام
فكان كما قال ابن نوح سأرتقي
الى جبل من خشية الله عاصم
رمى الله في جثمانه مثل مارمى
عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنود تسوق الفيل حتى اعادهم
هباء فكانوا مطرخمي الطراخم
نصرت كنصر البيت اذ ساق فيله
اليه عظيم المشركين الاعاجم(٤٢٠)

وقد استفاد شعراء السياسة في هذا العصر من العناصر الجديدة التي دخلت المجتمع العربي ودخلت من ثم الى تعابيرهم فاصحاب كل فريق سياسي يمثلون الحق والعدل وقادتهم أتقى الناس ، واحسن من يطبق امور الدين ويهجون اعداءهم بالخروج على مبادئ الاسلام وعدم الالتزام بالفروض والواجبات فضلا عن استفادتهم من القصص القرآنية والصور والتشبيهات الواردة في القرآن الكريم - كما مر بنا من قبل - وهي مادة وتشبيهات لم تكن في اللغة الشعرية في عصر ماقبل الاسلام .

وسنختار من شعر الهجاء مايمثل ظاهرة شعر النقائض ، ومايقدم صورة عن اشعار شعرائها الكبار ، جرير والفرزدق والاخطل .

---

(٤٢٠) النقائض ٣٤٨/١ .